

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْأَقْسَامِ عَلَى اللَّهِ

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ ؟ ! إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ » ^(١) . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ ^(٢) .
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : « تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقِيَ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ » ^(٣) .

مناسبة ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد : أنَّ الأقسام على الله إذا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢١) .

(٢) فقد روى أبو داود برقم (٤٩٠١) ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين ، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة ، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول : أقصر . فوجده يوماً على ذنب فقال له : أقصر . فقال : خلني وربي ، أبعثت عليّ رقيباً ! فقال : والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين ، فقال لهذا المجتهد : أكنت بي عالماً أو على ما في يدي قادراً ؟ وقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتي . وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار » .

(٣) فقد أخرج الترمذي برقم (٢٣٢٠) أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

كَانَ عَلَى وَجْهِ الْحَجَرِ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ مُنَافٍ لِلتَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

مَا جَاءَ فِي الْإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ: أَي: مِنْ الْأَدْلَةِ عَلَى تَحْرِيمِ ذَلِكَ. مَنْ ذَا الَّذِي؟: اسْتِفْهَامُ إِنكَارٍ.

يَتَأَلَّى عَلَيَّ: أَي: يَحْلِفُ، وَالْأَلِيَّةُ: بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ: الْحَلْفُ. أَحْبَطْتُ عَمَلَكَ: أَي: أَهْدَرْتُهُ. أَوْبَقْتُ: أَي: أَهْلَكْتُ.

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ لِلْحَدِيثِ: يَخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى وَجْهِ التَّحْذِيرِ مِنْ خَطَرِ اللِّسَانِ، أَنَّ رَجُلًا حَلَفَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِرَجُلٍ مُذْنِبٍ؛ فَكَانَ حَكَمَ عَلَى اللَّهِ وَحَجَرَ عَلَيْهِ؛ لَمَّا اعْتَقَدَ لِنَفْسِهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْحِظِّ وَالْمَكَانَةِ، وَلِذَلِكَ الْمُذْنِبِ مِنَ الْإِهَانَةِ، وَهَذَا إِدْلَالٌ عَلَى اللَّهِ وَسُوءُ أَدَبٍ مَعَهُ، أَوْجَبَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ الشَّقَاءَ وَالْخُسْرَانَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

مُنَاسِبَةُ ذِكْرِ الْحَدِيثِ فِي الْبَابِ: أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ الْإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ عَلَى وَجْهِ الْحَجَرِ عَلَى اللَّهِ وَالْإِعْجَابِ بِالنَّفْسِ؛ وَذَلِكَ نَقْصٌ فِي التَّوْحِيدِ.

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١ - تَحْرِيمُ الْإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِ وَتَأْمِيلِ الْخَيْرِ مِنْهُ.

٢ - وَجُوبُ حُسْنِ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ.

٣ - شِدَّةُ خَطَرِ اللِّسَانِ وَوَجُوبُ حِفْظِهِ.

* * *

بَابُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ أَغْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُهِكَّتِ الْأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ؛ فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبِّكَ؛ فَإِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! سُبْحَانَ اللَّهِ!» فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْحَاكَ! أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؛ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»^(١). وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: بيانُ تحريم الاستشفاع بالله على خلقه؛ لأنه هضمٌ للربوبية وقدحٌ في توحيد العبد؛ لأنَّ الشافعَ يشفعُ عند مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ وَاللَّهُ تَعَالَى مَنْزَرُهُ عَنْ ذَلِكَ؛ لَأَنَّهُ لَا أَحَدَ أَعْلَى مِنْهُ.

التراجم: جبیرُ هو: جبیرُ بنُ مطعم بنِ عدي بنِ نوفل بنِ عبد مناف القرشي كَانَ مِنْ أَكَابِرِ قُرَيْشٍ أَسْلَمَ قَبْلَ الْفَتْحِ وَمَاتَ سَنَةَ ٥٧ هـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نُهِكَّتْ: بضمَّ النونِ أي: جهدت وضعفت.

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٢٦).

فاستسقى لنا ربك : أي : اسأله أَنْ يسقينا بأن ينزل المطر .
 نستشفعُ بالله عليك : نجعله واسطةً إليك .
 سبحان الله : أي : تنزيهاً لله عما لا يليقُ به .
 عُرِفَ ذلك في وُجوه أصحابه : أي : عُرِفَ الغضبُ فيها ؛ لِغضبِ
 رسولِ الله ﷺ .

وَيَحْكُ : كلمةٌ تُقالُ للزجر .
 أتدري ما الله ؟ : إشارةٌ إلى قلةِ علمه بعظمةِ الله وجلاله .
 المعنى الإجماليُّ للحديث : يذكرُ هذا الصحابيُّ أَنَّ رجلاً من
 الباديةِ جاءَ إلى النبي ﷺ يشكو ما أصابَ الناسَ من الحاجةِ إلى المطرِ ؛
 ويطلبُ من النبي ﷺ أَنْ يسألَ ربَّه أَنْ ينزلهُ عليهم ؛ لكنَّه أساءَ الأدبَ معَ
 الله ؛ حيثُ استشفعَ به إلى النبي ﷺ وهذا جهلٌ منه بحقِّ الله ؛ لأنَّ
 الشفاعةَ إنما تكونُ من الأدنى إلى الأعلى ، ولذلك أنكرَ عليه النبي ﷺ
 ذلكَ ونزَّهَ ربَّه عن هذا التنقُّصِ ، ولم يَنكِرْ عليه الاستشفاعَ بالنبي ﷺ إلى
 الله سبحانه بدعائه إياه .

مناسبةُ الحديثِ للباب : أنَّه يدلُّ على تحريمِ الاستشفاعِ بالله على
 أحدٍ من خلقه ؛ لأنَّه تنقُّصٌ ينزَّه اللهُ عنه .

ما يُستفادُ من الحديث :

١ - تحريمُ الاستشفاعِ بالله على أحدٍ من خلقه ؛ لِما في ذلكَ من التنقُّصِ
 لله تعالى .

٢ - تنزيهُ الله عما لا يليقُ به .

٣ - إنكارُ المنكرِ وتعليمُ الجاهلِ .

٤ - جوازُ الاستشفاعِ بالرسولِ ﷺ في حياته ، بأن يطلبُ منه أَنْ يدعو الله

في قضاء حاجة المحتاج؛ لأنه مستجاب الدعوة، أمّا بعد موته فلا يُطلب منه ذلك لأن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك.

٥ - التعليم بطريقة السؤال؛ لأنه أوقع في النفس.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّ طُرُقِ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». فَقُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا. فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ»^(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

مناسبُهُ هَذَا الْبَابُ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ: بَيَانُ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَجَنُّبِ كُلِّ قَوْلٍ يُفْضِي إِلَى الْغُلُوفِ فِي الْمَخْلُوقِ، وَيُخْشَى مِنْهُ الْوُقُوعُ فِي الشِّرْكِ.

التَّرَاجُمُ: ابْنُ الشَّخِيرِ: بَكْسَرِ الشَّيْنِ وَتَشْدِيدِ الْخَاءِ هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الشَّخِيرِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ وَقْدَانَ الْحَرِيشِيِّ أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَلَهُ صَحْبَةٌ وَرَوَايَةٌ.

حِمَايَةُ: حِمَايَةُ الشَّيْءِ صَوْنُهُ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ مَكْرُوهِ وَأَذَى.
الْمُصْطَفَى: أَيُّ: الْمَخْتَارُ مِنَ الصَّفْوَةِ وَهِيَ خَالِصُ الشَّيْءِ.
حِمَى التَّوْحِيدِ: صَوْنُهُ عَمَّا يَشُوْبُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الَّتِي

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٠٦)، وأحمد في مسنده (٢٥/٤).

تُضَادُّهُ أَوْ تَنْقُصُهُ.

السيدُ اللهُ: أي: السُّودَدُ التَّامُّ لله عَزَّ وَجَلَّ، والخلقُ كُلُّهم عبيدُ الله. وأفضلُنَا فضلًا: الفضلُ: الخيريةُ ضدَّ النقيصة - أي: أنت خيرُنا. طَوَلًا: الطَّوْلُ: الفضلُ والعطاءُ والقدرةُ والغنى. قولوا بقولكم: أي: القولَ المعتادَ لديكم ولا تتكلَّفوا الألفاظَ التي تُوَدِّي إلى الغلوِّ.

أو بعض قولكم: أي: أو دعوا بعض قولكم المعتادَ واطركوهُ، تجبُّبًا للغلوِّ.

لا يستجربنكمُ الشيطانُ: الجري: الرسولُ أي: لا يتخذكمُ جريًّا أي: وكيلاً له ورسولاً.

المعنى الإجماليُّ للحديث: لما بالغَ هذا الوفدُ في مدحِ النبي ﷺ نهاهم عن ذلك؛ تأدُّباً معَ الله وحمايةً للتوحيد، وأمرهم أن يقتصروا على الألفاظِ التي لا غلوَّ فيها ولا محذور؛ كأن يدعوهُ بمحمدٍ رسولِ الله كما سمَّاهُ الله عَزَّ وَجَلَّ.

مناسبةُ الحديثِ للباب: أنَّ فيه النهيَ عن الغلوِّ في المدحِ واستعمالِ الألفاظِ المتكلفةِ التي ربَّما توقعُ في الشركِ.

ما يُستفادُ من الحديث:

- ١ - تواضعه ﷺ وتأدُّبه معَ ربِّه.
- ٢ - النهيُ عن الغلوِّ في المدحِ ومواجهةِ الإنسانِ به.
- ٣ - أنَّ السُّودَدَ حقيقةٌ لله سبحانه، وأنه ينبغي تركُ المدحِ بلفظِ السيد.
- ٤ - النهيُ عن التكلفِ في الألفاظِ وأنه ينبغي الاقتصادُ في المقالِ.
- ٥ - حمايةُ التوحيدِ عمَّا يخلُ به من الأقوالِ والأعمالِ.

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا خَيْرِنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدِنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا. فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِينَكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(١) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

يا خَيْرِنَا: أي: أَفْضَلُنَا.

يَسْتَهْوِينَكُمُ الشَّيْطَانُ: أي: يُزَيِّنُ لَكُمْ هَوَاكُم، أَوْ يَذْهَبُ بِعَقُولِكُمْ.

المعنى الإجماليُّ للحديث: كره ﷺ مَدْحَهُ بهذه الألفاظ ونحوها؛ لثَلَا يَكُونُ ذَلِكَ وَسِيلَةً إِلَى الْغُلُوفِ فِيهِ وَالْإِطْرَاءِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ مَقَامَ الْعِبَادِيَّةِ، فَصَارَ يَكْرَهُ أَنْ يَبَالِغَ فِي مَدْحِهِ؛ صِيَانَةً لِهَذَا الْمَقَامِ، وَإِرْشَادًا لِلأُمَّةِ إِلَى تَرْكِ ذَلِكَ؛ نَصْحًا لَهُمْ وَحِمَايَةً لِلتَّوْحِيدِ. وَأَرْشَدَهُمْ أَنْ يَصِفُوهُ بِصِفَتَيْنِ هُمَا أَعْلَى مَرَاتِبِ الْعَبْدِ، وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ بِهِمَا فِي مَوَاضِعَ وَهُمَا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَرِيدُ أَنْ يَرْفَعُوهُ فَوْقَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا.

مناسبة الحديث للباب: أَنَّهُ ﷺ نَهَى أَنْ يُمَدَحَ بِغَيْرِ مَا وَصَفَهُ اللَّهُ بِهِ؛

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٢٤٨، ٢٤٩)، وأحمد في مسنده (٢٤١، ١٥٣/٣).

صيانة للتوحيد وسدًا لباب الغلوّ المفضي إلى الشرك .

ما يُستفاد من الحديث :

١ - النهي عن الغلوّ في المدح ، وتكلف الألفاظ في ذلك ؛ لئلا يُفضي إلى الشرك .

٢ - تواضعه ﷺ وحرصه على صيانة العقيدة عمّا يخلّ بها .

٣ - أنه عبدُ الله ورسوله ، وليسَ له من الأمر شيءٌ ؛ والأمرُ كُلُّه لله سبحانه .

٤ - التحذير من كيد الشيطان ؛ وأنه قد يأتي من طريق الزيادة على الحدّ المشروع .

* * *